توظيف برامج الأدب المقارن الأكاديمية لعولمة الأدب الوطني: دراسة في ضوء رؤية دامروش[1]

أ.د. مصطفى محمد تقي الله بن مايابا

أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك عبد العزيز

mmayaba@kau.edu.sa

د.لبنى محمد إبراهيم الشنقيطي

أستاذ مشارك، قسم المواد العامة، جامعة الملك عبد العزيز

lalshanketi@kau.edu.sa

Employing Academic Comparative Literature Programs to Globalize National Literature: A Study in Light of Damrosch's Vision[2]

Mustafa Muhammad Binmayaba

Professor, Department of Arabic Language and Literature
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

Lubna Mohammed al-Shanquitiy

Associate Professor, Department of General Studies
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

[1] تم تمويل هذا العمل البحثي من خلال مشاريع التمويل المؤسسي بموجب المنحة رقم (**IFPAS–066–125–2020**). ويتقدم المؤلفان بالشكر والامتنان للدعم الفني والمالي من وزارة التعليم ومن جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

[2] This research work was funded as an institutional fund project under grant no (IFPAS-066-125-2020). Therefore, the authors gratefully acknowledge technical and financial support from the Ministry of Education and King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

المستخلص:

ظهرت الدراسات المقارنة على المستوى العالمي لتلبية الاحتياجات الأدبية والثقافية والاجتماعية للمؤسسات الأكاديمية الوطنية. وتتبنى هذه الدراسة المنهج الوصفي لاستقصاء دور برامج الأدب المقارن في عولمة الأدب المحلي ونشره عالميًا. وتعتمد الدراسة على رؤية الناقد الأمريكي ديفيد دامروش حول عولمة الآداب الوطنية لمراقبة طبيعة الدور الذي تلعبه برامج الأدب المقارن في عولمة الأدب الوطني وفقًا لمنهجية الأدب المقارن الأمريكية التي تركز على التجانس والتنوع في الموضوعات والنصوص المستهدفة بالمقارنة دون الحاجة بالضرورة إلى وجود أدلة تاريخية لإثبات التأثير الأدبي بين تلك الآداب. وتستعرض الدراسة تجارب برنامجين في جامعات فرنسية وكندية بشأن استخدام برامج الأدب المقارن لخدمة آدابهم الوطنية. وتختتم بتحديد أساليب تتوافق مع هدف عولمة الأدب العربي وفقًا لرؤية دامروش. وتظهر نتائج الدراسة الدور التطويري الذي تقوم به برامج الأدب المقارن في إخراج الآداب الوطنية من عزلتها لتتأثر بالآداب الأخرى بما يسهم في عولمة تلك الآداب الوطنية. وتشمل التوصيات ضرورة الاعتماد في دراسة وتدريس الأدب المقارن في برامج الجامعات العربية على رؤية تفيد الأدب العربي، وعلى مفهوم مرن للأدب المقارن يختلف عن المفهوم الفرنسي الصلب الذي لم تلتزم به كثير من برامج الأدب المقارن في الجامعات الفرنكوفونية العالمية.

الكلمات المفتاحية:

الأدب المقارن، ديفيد دامروش، برامج الأدب المقارن، الأدب الوطني، الأدب العالمي، الدراسات المقارنة.

Abstract:

Comparative studies meet global academic needs, addressing literary, cultural, and social aspects. This study examines the role of comparative literature programs in globalizing and disseminating national literature. It draws on Damrosch's vision of globalizing national literature, focusing on homogeneity and diversity in comparative topics and texts without requiring historical evidence of literary influence. Experiences from French and Canadian universities using comparative literature programs to support national literature are reviewed. The study identifies methods aligned with Damrosch's vision to globalize Arabic literature. Results highlight how comparative literature programs foster the development of national literature by exposing it to external influences, contributing to its globalization. Recommendations emphasize the importance of an Arab-centric vision in studying and teaching comparative literature, along with a flexible concept that diverges from the rigid French approach followed by some Francophone universities.

Keywords:

Comparative Literature, David Damrosch, Comparative Literature Programs, National Literature, World Literature, Comparative Studies.

المقدمة:

ظهرت الدراسات المقارنة ضمن سياقات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية دفعت الغرب الأوروبي الراغب في فرض هيمنته السياسية بما يتبعها من هيمنة ثقافية واجتماعية على الأمم الأخرى إلى البحث عن المشترك المعرفي مع الأمم المجاورة والبعيدة. فتشكلت في هذا السياق علوم مختلفة، أساسها المنهجية المقارنة التي تتجاوز حدود اللغة والثقافة المحلية لتبحث عن المشترك العلمي والمعرفي؛ من مثل: علم القانون المقارن الذي يبحث في المشترك التشريعي والقانوني بين الأمم، وعلم اللغة المقارن الذي يدرس الظواهر اللغوية في لغات تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة. وتطورت المنهجية المقارنة في القرون الأخيرة، وتحولت إلى مناهج تتعدد بتعدد طبيعة التساؤلات البحثية (Vadi, 2016, p. 30)، كما تطور الاهتمام الأكاديمي بالدراسات المقارنة في الجامعات الأوربية والأمريكية، وتفرعت منها فروع عدة في مقدمتها علم الأدب المقارن.

وتركز أقسام وبرامج الأدب المقارن في الجامعات الأمريكية على دراسة آداب المجتمعات الإنسانية من خلال المعرفة التي تشجع الدراسات المقارنة، والأخيرة –بدورها– تدفع التفكير النقدي للثقافات الوطنية إلى أفق عالمي من خلال مقارنة الأدب الوطني بالآداب الأخرى. ويوصف طلاب أقسام وبرامج الأدب المقارن بـ"المواطنين الدوليين" الذين يكتسبون مهارات معرفية وسلوكية تمكنهم من التعرف على الاختلافات الثقافية والأدبية بين أدبهم القومي والآداب القومية الأخرى والتغلب عليها بواسطة إيمانهم بأهمية التنوع الثقافي والأدبي، وضرورة تعريف الآخر بأدبهم الوطني. وهكذا، ينقل التواصل الأدبي العابر للحدود الآدابَ الوطنية من العزلة إلى العالمية.

أسئلة الدراسة:

يتعلق التساؤل الجوهري في الدراسة بالدور الذي يمكن أن تقدمه برامج الأدب المقارن التعليمية الأكاديمية في نشر الأدب الوطني عالميًا. وترتبط بهذا التساؤل تساؤلات تتعلق بمفهوم عالمية الأدب وعولمته، وبأساليب توظيف المنهجية الأمريكية في المقارنة لعولمة الأدب الوطني في البرامج الجامعية، وبأهم استراتيجيات عولمة الآداب الوطنية ونشره عالميًا، والدافع وراء ترجمة الأدب الوطني للغات الأخرى وثمرة

تلك الترجمة. ومن أهم تساؤلات الدراسة ما يتعلق بطبيعة التحديات التي يمكن أن تواجه تفعيل برامج الأدب المقارن لعولمة الأدب الوطني، وأنواعها، ومصادرها.

منهج الدراسة وأهدافها:

تستند هذه الدراسة إلى رؤية ديفيد دامروش David Damrosch، أستاذ الأدب المقارن في جامعة هارفارد والرئيس السابق لجمعية الأدب المقارن الأمريكية، ومؤسس معهد الأدب العالمي، بشأن عولمة الآداب المحلية والوطنية.

وتركز هذه الرؤية على الحاجة إلى انتشار الأدب المحلي خارج إطار لغته الأصلية وتمكينه من الوصول إلى جمهور أوسع عن طريق تجاوز الحواجز الثقافية واللغوية. وتتحدى هذه الرؤية المفهوم التقليدي للأدب، الذي يعتبره مرتبطًا بشكل صارم بالسياق الثقافي الأصلي ولغته. ففي رؤية دامروش، يعتمد الأدب العالمي على تبادل تفاعلي وديناميكي بين الثقافتين المصدر والهدف، ويرتبط بقيم واحتياجات الثقافة المضيفة بنفس القدر الذي يرتبط بثقافة مصدر العمل (Damrosch, 2003, p. 283).

وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على آلية التوظيف الفعّال لبرامج دراسات الأدب المقارن الأكاديمية لنشر الأدب العربي خارج حدود لغته الأصلية. وتتفرع من هذا الهدف الرئيس أهداف عدّة من أهمها تحديد الاستراتيجية والمفهوم الدقيق لعولمة الأدب الوطني، ورصد طبيعة العلاقة بين الآداب الوطنية في عصر العولمة. وتسعى الدراسة لرصد بعض تجارب الجامعات العالمية في توظيف برامج الدراسات العليا في الأدب المقارن لعولمة آدابها الوطنية.

وتتبع الدراسة منهجًا وصفيًا لتصف الدور الإيجابي الذي تلعبه برامج الأدب المقارن الجامعية، والتي تعتمد على المفهوم الأمريكي في الأدب المقارن، في تحقيق هدف عولمة الآداب الوطنية ونقلها من المحلية إلى العالمية؛ لتتبادل تجربتها الأدبية مع الآداب الأخرى. وتوضح الدراسة أهمية الاعتماد على المفهوم الأمريكي للأدب المقارن الذي تنطلق فيه المقارنة من التشابه بين الآداب والنصوص الأدبية دون اشتراط ثبوت التواصل الأدبي والتاريخي بينهما. وتوضح الدراسة أهم التحديات التي يمكن أن تواجه مقارنة موضوعات الأدب الوطني بنظيراتها في الآداب الأخرى وفق المنهجية الأمريكية، والحلول المنهجية لتلك التحديات. وتستعرض الدراسة تجربة الانفتاح على مقارنة الأدبين الفرنسي والكندي بآداب الأمم

المختلفة في برنامجي الأدب المقارن في جامعتين تنتميان إلى مؤسسات تعليمية فرنسية وفرنكفونية (تدرس باللغة الفرنسية) اتبعت برامجهما المنهجية الأمريكية في الأدب المقارن؛ لنشر نماذج من الأدب الوطني الفرنسي والكندي عالميًا، ونقل نماذج من الآداب العالمية للأدب الوطني: جامعة السوربون الجديدة في باريس وجامعة شيربروك الفرنكوفونية في مدينة شيربروك الكندية.

وتشتمل الدراسة على أربعة محاور تهدف للإجابة عن التساؤلات السابقة: يتناول أولها مفهوم عولمة الأدب الوطني، وفلسفة الأدب العالمي، ورؤية مجموعة من النقاد لعولمة الأدب. ويناقش المحور الثاني علاقة الدراسات الأدبية المقارنة بتطور الآداب الوطنية ونشرها عالميًا، والتحديات المتنوعة التي قد تعوق التفعيل المثمر لتلك العلاقة. ويستعرض القسم الثالث من الدراسة واقع الدراسات الأدبية المقارنة التي ترتكز على منهجية نشر الأدب الوطني عالميًا في بعض الجامعات الغربية، وأهم منجزاتها، والمراحل المتقدمة التي بلغتها، ويُسلط الضوء على رؤية برنامجين في الدراسات الأدبية المقارنة في تجربتين لجامعتين فرنكفونيتين: جامعة فرنسية وأخرى كندية. ويركز المحور الرابع على تطبيق رؤية دامروش على الأدب العربي بهدف تنشيط حركة تفاعله مع الآداب الأخرى في عمليتي نقله إلى الآخر واستقبال الآخر له

1– مفهوم عولمة الأدب الوطني:

يشير مفهوم (عولمة الأدب الوطني) في سياق الدراسة إلى تحويل نماذج من الأدب المحلي لتكون ضمن الأدب العالمي، ويعتمد هذا المفهوم على مصطلحين: الأدب الوطني أو القومي أو المحلي National Literature، والأدب العالمي World Literature. وقد تعددت آراء النقاد حول دلالات المصطلحين، فرأى الألماني ريتشارد ماير Richard Meyer (ت. 1914م) –على سبيل المثال– أن الأدب العالمي يكون مرتبطًا بالعالم، بينما يرتبط الأدب الوطني بالأمة والوطن، وأن الشاعر عندما يتحدث عن مشاعر مؤقتة وانطباعات عابرة فإن عمله ينتمي إلى "الشعر الوطني"، ولا يُعد من الأدب العالمي، وأن الأخير يقوم على التعبير اللفظي عن المشاعر الإنسانية المشتركة التي يمتلكها جميع الناس عبر التاريخ (Schmitz-Emans, 2012, p. 53). ويرى ماير أن الأدب الوطني يعبّر عن الشخصية الفردية للشعب وطريقة عيشه وتطوره (Schmitz-Emans, p. 59).

لقد تبلورت فلسفة الأدب العالمي وتطورت مناهجه في العصر الحديث (Lednicki, 2023, p. 80)، ولكن الآداب القديمة الرومانية والعربية وغيرها قد عرفت كثيرًا من ممارسات عالمية الأدب كمحاكاة الكتاب الرومان لشعراء الإغريق قبل الميلاد، والتأثر والتأثير بين الأدبين العربي والفارسي وغيرها، والترجمة التي تُعد من أهم الممارسات الأدبية القديمة المرتبطة بعالمية الأدب. وفي هذا السياق، ترى أستاذة الأدب المقارن بجامعة لوند آن شتاينر Ann Steiner أنه "غالبًا ما يكون الجدل حول الأدب الوطني/العالمي في بلد ما نتيجة لكيفية انتشار الترجمات. على سبيل المثال، تُظهر قوائم الولايات المتحدة نقصًا واضحًا في الترجمات، وكذلك في أدب اللغة الإنجليزية من خارج البلاد. وبناءً على ذلك، يُنظر إلى الأدب الأجنبي في الولايات المتحدة على أنه أقل تجاريًا وأكثر تحديًا من الناحية الفكرية مما هو عليه في الأماكن التي يكون فيها نمط المبيعات عكس ذلك. في بلدان مثل إسبانيا، تهيمن العناوين الأجنبية تمامًا على الروايات الأكثر مبيعًا" (Steiner, 2011, p. 321). وعليه، فإن الترجمة تُعد مؤشرًا من مؤشرات عالمية الأدب.

وتبلورت الرؤية النقدية لعملية انتقال النماذج الأدبية بين الثقافات في القرن التاسع عشر بواسطة مجموعة من الفلاسفة الأوروبيين في مقدمتهم الفيلسوف الألماني يوهان غوته Goethe Johann (ت. 1832م) الذي يرى أن "الأدب الوطني لا يعني الكثير في الوقت الحاضر، لقد حان الوقت لعصر الأدب العالمي ويجب على الجميع السعي لتسريع هذه الحقبة" (De Zepetnek, 2003, p. viii). ولا يعني تسريع هذه الحقبة في رؤية غوته إلغاء الآداب الوطنية، وإنما يعني "وعي التقاليد القومية للبلدان الأخرى والانفتاح على الأعمال المكتوبة فيها، والنقل والتبادل بين مختلف الآداب بنحو يوازي النقل والتبادل التجاري ويكملهما، على ألاّ يفضي هذا إلى التخلي عن التقاليد القومية أو انزواء الآداب القومية واختفائها" (بكار، 2018، ص. 24). وتفاعل عدد من نقاد الأدب في القرنين التاسع عشر والعشرين مع دعوة غوته لعولمة الآداب الوطنية، وفي مقدمتهم سكرتيره وتلميذه يوهان إيكرمان Johann Peter Eckermann (ت. 1854م) الذي سجل حواراته مع غوته في عمله "حوارات مع غوته".

وتكررت الدعوة لضرورة التبادل الأدبي بين الثقافات في سياق حديث كارل ماركس Karl Marx (ت. 1883م) وفريدريك إنجلز Friedrich Engels (ت. 1895م) عن دور البرجوازية في تغيير النظام الإقطاعي الذي سيطر على أوروبا قديمًا، حيث نص بيانهم الشيوعي المنشور عام 1848م على أنه: "بدلًا من العزلة المحلية والوطنية القديمة والاكتفاء الذاتي، لدينا علاقات في كل اتجاه، ونهضة في

الاعتماد المتبادل العالمي بين الأمم. وكما في الإنتاج المادي، كذلك في الإنتاج الفكري، تصبح الإبداعات الفكرية للدول الفردية ملكية مشتركة. أصبحت النزعة الوطنية أحادية الجانب وضيق الأفق مستحيلة أكثر فأكثر، ومن الآداب الوطنية والمحلية العديدة نشأ أدب عالمي" (Marx, 2022, p. 171).

ونشطت في هذا السياق دراسات الأدب المقارن في فرنسا لتتلمس احتمالات التأثر والتأثير بين الآداب الفرنسية والأوروبية وتجعلهما موضوعًا للتحليل والدراسة. وتطور مفهومَ الأدب الوطني أو القومي بعد أن تداخلت القوميات واللغات والآداب والثقافات؛ لأسباب خشنة كالاستعمار، أو ناعمة كالرحلات والتبادل التجاري. وأتيحت للمثقفين فرصة الاطلاع على تفاصيل الثقافات الأخرى والتأثر بها. وانعكس ذلك على الآداب القومية؛ كالأدب العربي الذي تأثر جيل الشباب من أدبائه في القرنين التاسع عشر والعشرين بآداب الأمم الأخرى وفنونها، كالفنون الأدبية الأوروبية والأمريكية.

وتسارعت عجلة تطور العلاقات الأدبية بين الأمم في القرن العشرين الذي تغيرت فيه كثير من المفاهيم التقليدية المرتبطة بحدود العلوم والفنون الأدبية، واختلطت فيه الهويات القومية والثقافية والأيديولوجية بطريقة شكلت تهديدًا وجوديًا للآداب والثقافات المبنية على العزلة والانطواء على الذات، وفُتح المجال واسعًا لتطور العلوم المرتكزة على الانفتاح الثقافي؛ كعلم الأدب المقارن. فإذا كانت النهضة العلمية التي شهدتها أوروبا في القرن التاسع عشر في مختلف جوانب الحياة النفسية والاجتماعية والفكرية قد أسهمت بشكل كبير في ظهور علم الأدب المقارن، فقد ساعدت الشبكة العنكبوتية في نقل حقل الدراسات الأدبية المقارنة إلى مرحلة جديدة من التطور؛ من مرحلة البحث عن دلائل التأثر والتأثير بين الآداب إلى مرحلة الانفتاح شبه التام بين الآداب القومية. وقد أدى ذلك إلى إزالة العديد من الحواجز اللغوية والسياسية وغيرها التي كانت تفصل بين أدباء الأمم المتنوعة. وفي القرن الحادي والعشرين، أسهمت ثورة المعلومات ووسائل التواصل الاجتماعي في تذليل الكثير من الحدود التقليدية التي فصلت بين الآداب القومية والوطنية.

وتفتح حركة التفاعل بين الآداب القومية أفقًا لتبادل الأفكار والتجارب الأدبية؛ لتصبح جزءًا من الأدب العالمي الذي يبحث في ما وراء الأدب القومي. ويوضح دامروش أن الأدب العالمي لا يعني مجموع الآداب في العالم، وليس بالضرورة منتشرًا عالميًا، وإنما هو أسلوب لقراءة الأدب يعزز ما يصفه دامروش بـ"الوعي الكوزموبوليتاني" cosmopolitan consciousness الناتج عن الوعي بالانتماء الأوسع

للعالم الذي نعيش فيه، ويتضمن الانفصال عن المقاربة الوطنية للأدب، والاتصال بعالمين: أحدهما واقع نعيش فيه، والآخر خارج زماننا ومكاننا.

ويعرف دامروش الأدب العالمي بأنه: "يشمل جميع الأعمال الأدبية التي تنتشر خارج ثقافتهم الأصلية، إما في الترجمة أو في لغتهم الأصلية" (Damrosch, 2003, p. 4). ويصف دامروش الأدب العالمي بأنه موجود على طائرتين في آنٍ واحد: حاضر في عالمنا، كما أنه يقودنا إلى عالم مختلف تمامًا عن عالمنا، وتأتي قوته الخاصة من تجاربنا المزدوجة في العالمين(Damrosch, 2003, p. 4). ويرى جراهام هوغان أن رؤية دامروش للعوالم المتقاطعة ليست تاريخية ولا أنثروبولوجية وإنما مستوحاة من القيمة التربوية الاجتماعية والثقافية للنصوص الأدبية (Huggan, 2011, p. 49).

ويصف دامروش عملية عولمة العمل الأدبي الوطني وجعله أدبًا عالميًا بأن العمل يدخل إلى الأدب العالمي من خلال عملية مزدوجة: "أولًا، من خلال قراءته كأدب؛ ثانيًا، عن طريق الانتشار في عالم أوسع يتجاوز نقطة نشأته اللغوية والثقافية"(Damrosch, 2003, p. 6). واتبع بعض الأدباء في عولمة الأعمال الأدبية الوطنية بلغتها الأصلية أو من خلال الترجمة منهجية خاصة وصفها دامروش بأنها تقرأ الأدب بمفاهيم ومبادئ كونية cosmopolitan أو/و عالمية worldly تعارض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة المقاربات الوطنية لدراسة الأدب ومقارنته بالآداب الأخرى القديمة والحديثة (Damrosch, 2003, p. 6). ويوضح دامروش طبيعة العلاقة بين الأدبين العالمي والوطني بأنه "يمكن أن يساعد فهم الأدب العالمي باعتباره انكسارًا بيضاويًا للآداب الوطنية في توضيح العلاقة الحيوية –لكن غير المباشرة أيضًا– بين الاثنين. وباستثناء محتمل لبعض الأعمال متعددة الجنسيات غير القابلة للاختزال مثل ألف ليلة وليلة، فإن جميع الأعمال الأدبية تقريبًا ولدت ضمن ما نسميه الآن: الأدب الوطني" (Damrosch, 2003, p. 283). وقد شكلت ثنائية الأدب الوطني والأدب العالمي فرصة لحقل الأدب المقارن؛ بوصفه وسيطًا بين الأدبين الوطني والعالمي، ووسيلة لنقل الآداب الوطنية إلى الثقافات والآداب الأخرى من خلال المقارنة بين الآداب.

2– العلاقة بين الأدب المقارن والأدب الوطني:

يختلف حقل الأدب المقارن عن حقل الأدب الوطني في أن الأدب المقارن وسيلة أو منهج لدراسة الأدب الوطني، فلن تكتمل المقارنة الأدبية دون وجود أدب وطني يُقارَن بأدب وطني آخر، ولن تعيش الآداب الوطنية دون أن تحتك طوعًا أو كرهًا بالآداب الأخرى. وتتسم العلاقة بين الأدب الوطني والأدب المقارن في رؤية النقاد المتعصبين للأدب القومي إلى علاقة صراع تجعل الأدب المقارن تهديدًا للأدب القومي، حيث يمثل الأخير الأصالة، والاستقلالية، والاعتزاز بالذات، والتراث الأدبي، والامتداد التاريخي مع أدب الأجيال السابقة، والوسيلة الأمثل للمحافظة على الهوية الوطنية. وفي المقابل، يدعو الأدب المقارن – حسب تلك المنهجية– إلى التنازل عن الهوية، والانفتاح على الآخر، والتأثر بالأدب الأجنبي، وزعزعة الثوابت الأدبية القومية، وتهديد الذات. وكما يصرح أستاذ الأدب بجامعة طوكيو جون دورسي John Dorsey فـ"لسوء الحظ، أُعتبر الأدب المقارن بدون حدود وطنية تحديًا لمفهوم الأدب الوطني. وحاول بعض الباحثين الأوائل في الأدب المقارن تبرير النظام الجديد من خلال التأكيد على أنه لن يتعارض مع دراسات الأدب الوطني، لكنه سيكملها في الواقع؛ لأنه سيشير إلى ما كان فريدًا في الأعمال الأدبية الفرنسية أو الألمانية أو الأمريكية من خلال مقارنتها بالأعمال الأدبية الأجنبية" (Dorsey, 1989, p. 188).

وسارت ممارسات عدد من الأساتذة المؤسسين لعلم الأدب المقارن الأوائل في الجامعات الفرنسية والألمانية في مقارنة آدابهم بالآداب الأخرى في اتجاه تعميق فكرة الصراع بين الآداب، حين استخدموا المقارنة لإثبات تميز آدابهم القومية عن الآداب الأخرى. فتحول الأدب المقارن في ممارساتهم النقدية والأدبية إلى وسيلة لإثبات رفعة الأدب الوطني وتميُّزه عن الآداب الأخرى. وتنبّه الناقد الأمريكي رينيه ويلك René Wellek لهذه الثغرة في دراسات الأدب المقارن الأوروبية التي تتيح للمتعصبين عولمة أفكارهم القومية، ورأى أنه لا يمكن تجاهل الآداب الوطنية بسبب هذه الثغرة، لكن يمكن تطوير آلية لقراءة وفهم النصوص الوطنية بأسلوب يعمق المشترك الإنساني بين الأمم؛ لتحقيق ما وصفه بـ"الكونية المثالية" ideal universality التي تشمل "الإنسان، والإنسان العالمي، والإنسان في كل مكان وفي جميع الأوقات، بكل تنوعه. وتتوقف الدراسة الأدبية عن كونها هواية أثرية، وحسابًا للاعتمادات والديون الوطنية" (Gupta, 2009, p. 137).

وفي مقابل الرؤية المتعصبة للأدب الوطني، برز توجه يشكك في جدوى تدريس الآداب الوطنية ودراستها في البرامج الأكاديمية؛ بحجة أن مضمونها يدرّس في برامج أخرى. وفي هذا السياق تتساءل أستاذة الأدب المقارن بجامعة هارفارد جوديث ريان Judith Ryan عن أهمية التركيز على الدراسات المرتبطة بالمناطق في البرامج الأكاديمية، وعما إذا كان تخصص الأدب الوطني يجب أن يظل خيارًا منهجيًا؛ لأن الطلاب المهتمين بالأدب الوطني يلتحقون عادة بأقسام وتخصصات اللغة، والأدب المقارن، أو –ما تطلق عليه بعض الجامعات– قسم أو تخصص الأدب، ويبقى تخصص الأدب الوطني –في رأيها– تحت تهديد الانقراض (Ryan, 1991, p. 49).

ويُضاف إلى التحديات التي تواجه مقارنة الآداب الوطنية بالآداب الأخرى تحدٍ يتمثل في هجرة أدباء الوطن للإقامة في بلد آخر، وإقامة أدباء مغتربين في الوطن القومي. وفي كلتا الحالتين تتفاعل في ذهن الأديب ثقافتان: ثقافة الأصل القديم وثقافة الموطن الجديد، وتنعكس هاتان الثقافتان على منتجه الأدبي الذي يعكس –في الغالب– رؤية تختلف عن الرؤية القومية التقليدية، ويستمر التفاعل بين الثقافتين عند أدباء الجيل الأول والثاني من أبناء المهاجرين. ويُنتج ذلك التفاعل تحديًا أكبر لمقارنة الأدب الوطني بالآداب الأخرى يتمثل في مفهوم الوطن عند أولئك الأدباء المهاجرين والمغتربين. من هنا، يبرز الاعتراض الأهم على مصطلح "الأدب الوطني" في أن الأدب يعتمد على الواقع كما يستمد وجوده من الماضي والذاكرة التي تتجاوز الوطن والهوية الوطنية.

وقد انتقل التنافس والصراع بين المتعصبين للأدب الوطني وخصومهم من المؤمنين بعالمية الأدب وأهمية تدريس الأدب المقارن في مناهج الجامعات إلى الأقسام العلمية المتخصصة؛ حيث تصف جوديث ريان ذلك الصراع بين أتباع الأدبين الوطني والمقارن من أعضاء هيئة التدريس بأنه "غالبًا ما يُنظر إلى المعلمين المهتمين بالأدب المقارن على أنهم يصرفون الانتباه عن قضية الأدب الوطني، بينما يعدُّ زملاؤهم المقارنون أولئك الذين يرتبطون بشكل وثيق بالأدب الوطني مبتذلين للغاية وغير متطورين" (Ryan, p. 49). وتُذكِّر جوديث ريان أتباع المذهبين من الأساتذة باستراتيجية تدريس التخصصات البينية العابرة لحدود التخصص والقسم العلمي كتدريس الأدبين الوطني والعالمي من خلال المقارنة بأنه "يجب أن يكون أي شخص يرغب في التعامل بنجاح مع السياسات الداخلية وفيما بين الأقسام مستعدًا لقلب جانب الفرو بالداخل أو جانب الفرو بالخارج عند سقوط القبعة – أو القفاز" (Ryan, p. 49).

وفي سياق قراءة الأدب الوطني ضمن مفهوم الأدب العالمي، يرى دامروش أن العمل الأدبي لا يترك مكانه الأصلي أبدًا، لكنه ببساطة له بؤرتان: واحدة في البلد المضيف، والأخرى في البلد الأصلي (Damrosch, 2003, p. 283). ويؤكد –في سياق وصفه الأدب العالمي بأنه انكسار بيضاوي للآداب الوطنية– أنه "لا تتطلب حريته النسبية من السياق أن يخضع عمل الأدب العالمي لأي شيء مثل الانفصال المطلق عن ثقافته الأصلية. عندما نقرأ في الفضاء الإهليلجي (أو البيضاوي) elliptical space للأدب العالمي، فإننا لا نفهم تمامًا العمل الأجنبي وفقًا لشروطه الخاصة، ولا تزال هناك حاجة إلى قفزة في الخيال" (Damrosch, 2003, p. 297). كما يؤكد دامروش أن العمل الأدبي العظيم يصل –في الغالب– إلى ما هو أبعد من زمانه ومكانه، لكن على العكس من ذلك، يمكن أن يوفر ذلك العمل "طريقة مميزة للوصول إلى بعض أعمق صفات ثقافته الأصلية. تحطم الأعمال الفنية ثقافاتهم بدلًا من مجرد عكسها" (Damrosch, 2011, p. 2).

وتبدأ العلاقة المنتجة بين الأدب الوطني والآداب الأخرى من التركيز على عناصر التواصل الأدبي بين تلك الآداب، ويتعذر تصنيف العمل الأدبي ضمن الأدب العالمي إن لم يتحقق التواصل بين كاتبه والسياق الذي ظهر فيه النص والسياقات الوطنية الأخرى. ففي حديثه عن قوة تأثير السياقات المحلية على تشكيل العمل الأدبي، يؤكد دامروش أن مصطلح الأدب العالمي لا يشمل الأدب الوطني العالميnotional global literature الذي يمكن قراءته فقط في محطات الخطوط الجوية، دون أن يتأثر بأي سياق محدد (Damrosch, 2003, p. 25). وتتولد من عناصر التواصل الأدبي بين الآداب المختلفة رسالة الأدب المقارن، ووظيفته، والوسيط في الأدب المقارن.

تستند رسالة الأدب المقارن على التفاعل المحايد والمثمر بين الآداب الوطنية دون تعصب للأدب القومي، أو التعصب ضده. وتؤدي الترجمة –كما يرى ديفيد روبرتس David Roberts– دورًا جوهريًا في تحقيق هذا التفاعل، فـ"مثلما يرتفع الأدب العالمي ويهبط مع الوطني، فإن صعود وسقوط فكرة الأدب الوطني مرتبط بالأداة الفعالة لنقل الحضارة الثقافية—الترجمة" (Roberts, 2020, p. 87). وتقوم رسالة الأدب المقارن على فلسفة لفعل يرتبط بتطوير الأدب والثقافة الوطنية بعيدًا عن المقارنات العشوائية كتلك التي سادت في بداية نشأة الأدب المقارن في مصر ووصفها محمد غنيمي هلال بأنها: "لم تكن نتيجة لحركة فكرية واتجاهات فلسفية، ومنحى علمي، ومنهج نقدي عميق، ودعوات نظرية يؤمن

أصحابها أن هذا العلم ضرورة ملحة لا غناء عنها، ولا محيد عن الاستجابة إليها، كما كان شأنه لدى كتّاب الغرب وفلاسفتهم ومفكريهم ... وإنما أريد بالأدب المقارن آنذاك أن يوضع في منهج الجامعات دون استعداد له أو وقوف على حقيقته" (هلال، 1998، ص. 73). فلم تقم دراسات الأدب المقارن منذ بدأت في العالم العربي على رسالة أو فلسفة، وإنما كانت رد فعل للإعجاب بالنموذج الغربي.

ويوجز محمد غنيمي هلال وظيفة الأدب المقارن –في رأيه– في ثلاث وظائف ترتبط ارتباطًا مباشرًا وغير مباشر بالأدب الوطني: إنسانية، وقومية، ووظيفة تتعلق بتاريخ الأدب. وتتجلى الوظيفة الإنسانية في التقريب بين الشعوب وإخراج الآداب من عزلتها، وتبرز وظيفة الأدب المقارن القومية –في وجهة نظره– في أنه يبرز عوامل التميز في الأدب القومي التي جعلته مؤثرًا، وتتعلق الوظيفة الثالثة في تزويد الأدب المقارن لمؤرخي الأدب بما يعينهم على التأريخ للآداب القومية (هلال، ص. 20). وتؤدي دراسات الأدب المقارن وظيفة تطويرية تسهم في النهوض بالأدب الوطني على يد الوسطاء الذين ينقلون النماذج المتميزة من الآداب الأخرى إلى أدبهم القومي كما ينقلون النماذج المتميزة من أدبهم القومي إلى الآداب الأخرى.

إن تطور الأدب العربي –على سبيل المثال– في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، ودخول أجناس أدبية جديدة فيه كالمقامات والقصص على لسان الحيوانات وغيرهما كانت نتيجة لعوامل من أهمها دور الوسطاء الأدبيين كابن المقفع في نقل نماذج من الآداب اليونانية والهندية والفارسية إلى الأدب العربي (ابن المقفع، 2018، ص. 46). وفي المقابل، كان من أسباب عدم انتشار نماذج كثيرة من الأدب الألماني –على سبيل المثال– عالميًا وعند الجمهور الأمريكي خاصة قلة الوسطاء الذين ينقلون الأدب الألماني للآداب الأخرى، حيث يلاحظ هيو ريدلي أنه لم يتم التفكير في فكرة أن الأدب القومي قد يستفيد من قيام كاتب أمريكي بمهمة الوسيط الأدبي للأدب الأوروبي عند الجمهور الأمريكي، وأن العديد من الأحكام على الأدب الأمريكي مأخوذة من الصحافة الدورية الإنجليزية (Ridley, 2007, p. 86).

وقد كان للوسطاء العرب الذين تأثروا بالفكر والفلسفة والآداب الأوروبية في القرنين التاسع عشر والعشرين الفضل الأكبر في نهضة الأدب العربي في العصر الحديث، حيث نقلوا فلسفة المذاهب الأوروبية الحديثة إلى العربية كما ترجموا نماذج من الأدب الأوروبي، ونقلوا أجناسًا أدبية جديدة كجنس

المسرح الذي نقله مارون النقاش (ت. 1855م) من أوروبا إلى لبنان في منتصف القرن التاسع عشر، وجنس القصة الذي نقله محمد جلال بك (ت. 1926م) من الأدب الفرنسي. والملاحظ أن حركة الانفتاح العربي على أوروبا ومقارنة الأدب العربي بالآداب الأوروبية نشطت في مصر والشام والعراق أكثر من غيرها من البلدان العربية، وهو ما فسّره عباس عبد الحليم بأنه "يعود في قسم كبير منه لعوامل تاريخية أساسها طبيعة حضارة المنطقة واتصالها بالشعوب المحيطة، وكونها معبرًا لشعوب وحضارات أخرى" (عباس، 2016، ص. 46). وقد انعكس اهتمام النقاد بالأدب المقارن في تلك البلدان على مناهج الدراسات الأدبية المقارنة في تلك الأقطار العربية.

إن الغاية التطويرية للأدب الوطني المرجوة من مقارنته بالآداب الأخرى تتطلب السير في اتجاهين: اتجاه يبدأ من الآداب الأخرى إلى الأدب الوطني، واتجاه يبدأ من الأدب الوطني إلى الآداب الأخرى. فعلى الرغم من أن الجامعات الأوروبية قد درجت في تدريسها لمناهج الأدب المقارن على "جعل أدبها القومي مركزًا تدور دراساتها المقارنة حوله، فتتنوع الدراسات على حسب طبيعة علاقات أدبها بالآداب العالمية تأثيرا" (هلال، ص. 70)، إلا أن تلك الدراسات كانت في اتجاهين من الأدب القومي وإليه عند المقارنة بالآداب الأوروبية، لكنها كانت –في الغالب– تسير في اتجاه واحد يبدأ من الأدب القومي عندما تكون المقارنة بالآداب الأخرى. ويأخذ جون دورسي على هذا الاتجاه في المقارنة أنه "على الرغم من أن الاتجاه إلى وضع الأدب القومي للفرد في قلب العالم الأدبي هو نقطة انطلاق طبيعية في الدراسات الأدبية، إلا أنه في النهاية لا يتوافق مع الأدب المقارن لأنه يركز كثيرًا على الطابع الوطني للعمل، ويفصل من أجل المقارنة، ولأنها ترقى إلى القومية وليس العالمية في الدراسات الأدبية" (Dorsey, p. 187). كما قد يقود هذا الاتجاه إلى التعصب للأدب القومي، والبحث عن كل ما يميزه عن الآداب الأخرى.

وفي المقابل، فإن الاعتماد على اتجاه المقارنة الذي يبدأ من أدب الآخر إلى أدب الأنا سيفضي –في الغالب– إلى التبعية للأدب الآخر بما ينعكس سلبًا على الأدب الوطني وعلى الأدب المقارن كما حدث في آداب الدول السوفيتية خلال فترة الحكم الستاليني (1927م –1953م) التي شهدت دراسات الأدب المقارن خلالها تراجعًا خطيرًا حين تحول هدف النقاد وأساتذة الأدب في تلك الدول إلى مقارنة آدابهم الوطنية بالأدب الروسي الملتزم بالأيديولوجيا الماركسية، و"ظلت المكتبة السوفيتية ومكتبة

لغات أوربة الشرقية شديدة الفقر في عناوين الأدب المقارن، وليست هناك أية مؤلفات ذات قيمة في هذا الحقل حتى نهاية الدولة السوفيتية" (الخطيب، 1999، ص. 88).

وتسير مقررات ومناهج الأدب المقارن في المنشأ الأوروبي لهذا العلم في اتجاه التطبيق والممارسة أكثر من التنظير، فقد كانت المدارس الثانوية في فرنسا –كما يروي محمد غنيمي هلال– تفسح مجالًا في مناهجها لدراسات الأدب المقارن "فكل طالب في تلك المدارس الثانوية يختار أدبين أجنبيين يقوم فيهما بالدراسات المقارنة على منهج مبسط، وهذه الآداب التي يخير الطالب بين اثنين منها هي: الأدب الإيطالي، والأدب الإسباني، والأدب الإنجليزي، والأدب الألماني. ثم يدرس التيارات الأدبية الأجنبية الكبيرة في آخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين" (هلال، ص. 72). وحرصت تلك المناهج على أن يدرك الطلاب المنزلة الرفيعة التي تبوأها أدبهم الوطني من خلال إثبات تأثيره في الآداب الأخرى.

لقد هدفت دراسات الأدب المقارن في مناهج الثانويات الفرنسية –كما ينقل محمد غنيمي هلال– إلى "أن يعرف التلميذ أولًا –مهما كانت اللغتان الأجنبيتان اللتان اختارهما– شيئًا عن كبار الكتاب غير الفرنسيين مثل "دانته" و"سرفانتس" و"شكسبير" و"غوته" ثم أن يتعرف أيضًا –قبل أن يترك التعليم الثانوي– على فكرة امتداد تاريخنا [الفرنسي] الأدبي في غيره من الآداب، وشيئًا من علم الآداب المقارنة، وهو علم يختص التعليم العالي –فيما بعد– بإكمال الدراسة فيه، لكنه لم يعد من الممكن أن يجهل عقل مثقف منهج هذا العلم وغايته" (هلال، ص. 72). وينتقل الاهتمام بمقارنة الأدب الوطني بالآداب الأخرى في فرنسا –كغيرها من البلدان الغربية– بعد المرحلة الثانوية إلى مناهج كثير من جامعاتها الرائدة عالميًا في الدراسات المقارنة.

ويأخذ دامروش على برامج الدراسات العليا التي تعنى بتدريس الأدب المقارن والأدب العالمي نزعتَها الفردية في البحث والتعليم والتدريب، ويرى أن العمل الجماعي أكثر فعالية في دراسة الأدب العالمي من العمل الفردي. ويوجّه خطابه لأساتذة الأدب المقارن والأدب العالمي قائلا: "نحن في الأساس لا نفعل شيئًا لتشجيع طلاب الدكتوراه على العمل معًا، ناهيك عن تدريبهم على العمل معًا بشكل جيد. في حين أن المنح الدراسية الفردية والتدريس سيظلان دائمًا مهمين، فإن أولئك الذين يعملون في الأدب العالمي سيجدون بشكل متزايد أن جزءًا كبيرًا من عملهم ينفَّذ بشكل أفضل بالتعاون مع أشخاص آخرين" (Damrosch, 2003, p. 286). وهكذا، يتيح العمل الجماعي والمشاركة البحثية في

البرامج الجامعية الخاصة بدراسات الأدب المقارن والأدب العالمي للمشاركين عرض آدابهم الوطنية للآخرين للاطلاع عليها ودراستها، كما تتيح لهم الاطلاع على آداب الآخرين ومقارنتها بأدبهم الوطني.

3- توظيف برامج الأدب المقارن لدراسة الآداب الوطنية في برامج الجامعات الغربية:

بدأت الجامعات الأمريكية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في إنشاء أقسام علمية متخصصة في الدراسات المقارنة تعنى بمقارنة الثقافة والآداب القومية بثقافة وآداب الآخر، فأنشأت جامعة هارفارد عام 1891م أول كرسي للأدب المقارن في الولايات المتحدة الأمريكية، قبل أن تؤسس قسمًا للأدب المقارن في مطلع القرن العشرين يهدف إلى التحول من التركيز الحصري على تقاليد أوروبا الغربية إلى الوعي العالمي الجديد. وأسست جامعة كولومبيا قسمًا للأدب المقارن عام 1899م، وأنشئ عام 1912م قسم للأدب المقارن في جامعة كاليفورنيا (ابن عبيد، 2020، ص. 61)، كما أنشأت جامعة أوهايو الأمريكية في عام 1951م قسمًا خاصًا بـ"الدراسات المقارنة" يعنى بعمليات التفاعل الثقافي، مع اهتمام خاص بديناميكيات المعرفة والقوة والسلطة والاختلاف الثقافي. وقد انطلقت برامج هذه الأقسام -في الغالب- من دراسة الأدب والنقد والفلسفة الغربية عامة والأمريكية على وجه الخصوص.

ولم يتوقف نشاط الدراسات المقارنة في الجامعات الغربية عند إنشاء الأقسام العلمية، بل تجاوزها إلى المراكز والبرامج، حيث أنشأ قسم اللغة الإنجليزية بجامعة ميرلاند الأمريكية -على سبيل المثال- "مركز الدراسات الأدبية والمقارنة"؛ ليساعد في تطوير معرفة جديدة في الدراسات الأدبية والمقارنة، ويعزز نشاط التعاون البيني مع الأقسام والبرامج الأخرى المتخصصة في اللغات، والآداب، والثقافات، والكلاسيكيات، وغيرها. ويقوم برنامج "الدراسات المقارنة الدولية" (ICS) في كلية دوق الأمريكية للعلوم والفنون بإعداد الطلاب لمهن متنوعة تتعلق بمعالجة المشكلات من منظور عالمي في ضوء المناهج المقارنة المعاصرة. وتضم عشرات من الجامعات الغربية الأخرى؛ من مثل: جامعات إنديانا، وكاليفورنيا، وبنسلفينيا، وفلوريدا، وستانفورد، وبردو، ومنسوتا، وييل وغيرها أقسامًا ومراكز متخصصة في الدراسات المقارنة.

ولم تخل تجارب الدراسات الأدبية المقارنة في الجامعات الأوروبية والأمريكية من بعض التحديات والصعوبات، منها ما يتعلق بالمتغيرات السياسية حيث أُغلق قسما الأدب المقارن في جامعتي كاليفورنيا وتكساس بعد بضع سنوات من افتتاحهما. وكان للحرب العالمية الثانية الأثر الأكبر على رحلة دراسات الأدب المقارن في الجامعات الغربية إذ خفت الاهتمام بها خلال فترة الحرب قبل أن تلتفت إليها عدد من الجامعات الفرنسية بعد الحرب؛ من مثل: جامعات ديجون، وبوردو، وتولوز، وغرونوبل، وإيكس. وأعادت عدد من الجامعات الأمريكية –من مثل: جامعة ييل وجامعة إنديانا– افتتاح أقسام الأدب المقارن نهاية أربعينيات القرن العشرين وبداية خمسينياته (ابن عبيد، 2020، ص. 56)، بعد أن أدركت جل تلك الجامعات أهمية دراسة الآخر، وأدبه، وفنونه، وثقافته، وتاريخه، وأخلاقه.

وواجهت مقارنة الأدب الوطني بالآداب الأخرى في بعض برامج الجامعات في عدد من البلدان الحديثة تحديًا يتمثل في طبيعة الهوية الوطنية بأبعادها الاجتماعية والثقافية والفكرية؛ لأن الدراسات المقارنة تقوم على المقارنة بين الآداب الوطنية، ويبدأ تحديد الأدب الوطني من تحديد الهوية الوطنية. ففي كندا –على سبيل المثال– يتحدد الأدب الوطني بتحديد الهوية المستهدفة بالخطاب، وقد أنتج تعدد الهويات تعددًا في الآداب الوطنية؛ من مثل: الأدب الكندي الذي كتبه كندي لصرف النظر عن لغته، والأدب الكندي الفرنسي الذي كتبه كندي بالفرنسية، والأدب الكيبكي الذي كتبه كندي عن هوية منطقة كيبك، وغيرها. وفي سياق مشابه، قاوم بعض النقاد الكنديين كإدوارد بلودغت Edward Blodgett (ت. 2018م) فكرة وجود معالم واضحة للأدب الوطني الكندي، واستخدم أساليب قراءة الأدب المقارن؛ ليضع الأدب الكندي في سياق الأدب العالمي، بما ينافي فكرة الوحدة الوطنية والتجانس الثقافي الذي أظهره التركيز على الأنماط (الأسطورية وغيرها) للنقد الموضوعي (Kamboureli, 2012, p. 22).

كما واجهت مهمة توظيف برامج الأدب المقارن لمقارنة الآداب الوطنية بالآداب الأخرى في برامج عدد من الجامعات الغربية تحديات تتعلق بمناهجها؛ من مثل: مهمة تدريس "الأدب العالمي" الذي فشلت كثير من تلك الجامعات في تدريسه –حسب رأي عبد النبي اصطيف– "بسبب الحجم الهائل لنصوص هذه الآداب من جهة، وبسبب من ضعف اهتمامها بالآداب الصغيرة، آداب الجنوب والشرق والعالم الثالث عامة، والتي تُركت العناية بها إلى الأقسام المختصة بلغاتها وثقافاتها، أو أقسام ومراكز

الدراسات الإقليمية، أو دراسات المنطقة، من جهة أخرى" (اصطيف، 2019، ص. 23). وقد تحول الاهتمام بالأدب العربي –على سبيل المثال– في عدد من الجامعات الأمريكية إلى أقسام لغات وثقافات الشرق الأوسط، كما تحول الاهتمام بالآداب الفارسية والأوردية والداريَّة إلى أقسام دراسات وسط آسيا، على أن نصوصها قد تدرس بوصفها نماذج يقدّمها الدارسون في أقسام الأدب المقارن، لكنها لا تدرج – في الغالب– ضمن مقررات تلك الأقسام.

ومن التحديات المتعلقة بالمناهج التي واجهتها أقسام الأدب المقارن في الجامعات الغربية، وتحولت الممارسة ذاتها منها إلى الجامعات العربية أنها ارتكزت على نماذج محددة لكتاب محددين، ونتج عن ذلك كما يرى عبد النبي اصطيف أن "انتهى المطاف بأقسام الأدب المقارن واللغات الحديثة بالأدب العالمي إلى قصر العناية بهذا الأدب على مجموعة مختارة من روائعه المترجمة إلى الإنكليزية بشكل خاص، والمتمركزة حول الذات أو الذوات الغربية. علمًا أن كثرة متزايدة من نصوص آداب العالم غير الغربية قد أخذت طريقها إلى لغات العالم الأول عن طريق الترجمة، وأصبحت ميسورة بالإنكليزية والفرنسية والألمانية وسواها، ولكنها ظلت، مع ذلك، خارج دائرة الأدب العالمي التي اقتصرت في معظمها على الآداب الغربية" (اصطيف، 2019، ص. 23).

وتشكلت خلال النصف الثاني من القرن العشرين رؤيتان للأدب المقارن في الجامعات الغربية: رؤية فرنسية وأخرى أمريكية، تنطلق أولاهما من التاريخ لتشترط وجود ما يثبت الصلة التاريخية بين الآداب أو الأدباء أو النصوص والظواهر الأدبية موضوع المقارنة، وترفض المقارنة التي تعتمد على التقارب والتشابه، حتى لو كانت بين آداب الأمم المتجاورة إن لم يتوفر الدليل التاريخي الذي يثبت حدوث التواصل التاريخي بين تلك الآداب موضوع المقارنة (خضير، 2004، ص. 13). وفي المقابل، انطلقت الرؤية الأمريكية من الواقع، ولم تشترط توفر الشواهد والأدلة التاريخية التي تثبت التواصل الأدبي. وتفرعت من كلتا الرؤيتين مذاهب مختلفة أثّرت في برامج الأقسام الأكاديمية في الجامعات الغربية في العقود الأخيرة، كما تأثرت تلك البرامج بالعولمة، وأصبحت في مجملها أقرب للرؤية الأمريكية المنفتحة على مقارنة الآداب الوطنية والأوروبية بالآداب العالمية في المشرق، وأفريقيا، وأمريكا الجنوبية، وغيرها من الآداب غير الأوروبية.

ومن أمثلة انفتاح برامج الدراسات المقارنة في الجامعات الغربية على آداب الأمم الأخرى فكرة برنامج الأدب المقارن في جامعة كوين ماري اللندنية الذي يعتمد على التنوع الثقافي والأدبي؛ بحيث لا تُعتبر الآداب واللغات والثقافات الغربية مركزية أكثر من الآداب واللغات والثقافات الأخرى حول العالم، معتمدين على فلسفة الناقد والفيلسوف الفرنسي والأمريكي جورج ستاينر George Steiner (ت. 2020م) (Steiner, 2010, p. 200). بأن المقارنة تمكن الأنا من سماع صدى صوتها، كما تمكن الآداب الوطنية من رؤية ذاتها.[3] ويهدف البرنامج لتعليم طلبته آلية تكييف النصوص والأفكار العابرة للزمان والمكان، وترجمتها، وتعميمها في جميع أنحاء العالم.

من هنا، فإن الطبيعة المرنة والبينية والمنفتحة على التخصصات الأخرى في جلّ برامج الأدب المقارن في الجامعات الغربية نتيجة طبيعية لتأثرها بالرؤية الأمريكية المنسجمة مع العولمة وعالمية الأدب أكثر من نظيرتها الفرنسية المتعصبة تاريخيًا للأدب الفرنسي والأوروبي. وعلى الرغم من النشأة الفرنسية لعلم الأدب المقارن قبل أن ينتقل لمناهج الجامعات الأمريكية، إلا أن الرؤية الأمريكية أثرت في برامج الأدب المقارن الحديثة أكثر من نظيرتها الفرنسية، وتجلى ذلك في تأثر عدد من برامج الأدب المقارن في الجامعات الفرنسية والفرنكوفونية كبرنامج (الأدب المقارن الأوروبي وخارج أوروبا) في جامعة السوربون الجديدة وبرنامج (الأدب الكندي المقارن) في جامعة شيربروك الفرنكفونية الكندية بالرؤية الأمريكية للمقارنة بين الآداب الوطنية. واختير هذان البرنامجان لسببين: أولًا، ليكونا أنموذجين لبرامج الأدب المقارن في الجامعات الغربية التي تحولت كثير منها إلى الرؤية الأمريكية المنفتحة في المقارنة الأدبية على الآداب الأخرى دون الالتزام بالمنهجية الفرنسية التي تعتمد على الدليل التاريخي لإثبات التواصل التاريخي بين الآداب المستهدفة بالمقارنة؛ ثانيًا، لانتماء البرنامجين لجامعات فرنسية وفرنكفونية لم تلتزم بالمنهجية الفرنسية وقيودها التاريخية، وتأثرت –كما يتضح لاحقًا– في مقرراتها بالمنهجية الأمريكية في الأدب المقارن.

3–1 رؤية برنامج الأدب المقارن في جامعة فرنسية:

[3] Queen Mary University of London. (n.d.). Comparative Literature BA (Hons). Retrieved May 25, 2023, from https://www.qmul.ac.uk/undergraduate/course-info/comparative-literature/?gclid=EAIaIQobChMIwMKhp6S__AIV9pBoCR34vAO-EAAYASAAEgI1l_D_BwE

غيرت جامعة السوربون الجديدة في مطلع العام الأكاديمي 2022 اسم برنامج ماجستير الأدب المقارن ليصبح: برنامج "الأدب المقارن الأوروبي وخارج أوروبا."[4] ليدل بمسماه الجديد على التفريق بين ثلاثة مجالات أو آداب: الأدب الفرنسي، والأدب الأوروبي، والأدب غير الأوروبي؛ لأن المشترك الأدبي بين الأدب الفرنسي والآداب الأوروبية المجاورة، كالأدب الإسباني والألماني، يختلف عن المشترك الأدبي بين الأدب الفرنسي والآداب غير الأوروبية، كالأدب العربي والأدب العبري والآداب الآسيوية. كما يدل الاسم الجديد للبرنامج على وعي القائمين عليه بأهمية الانفتاح على الأمم غير الأوروبية وآدابها.

ويتسع مجال الدراسة في البرنامج ليربط الأدب الفرنسي والأدب الناطق بالفرنسية في كندا وإفريقيا وغيرها من البلدان الناطقة بالفرنسية بالآداب الأنجلو أمريكية، والجرمانية، والإيطالية، وأدب اللغة الأيبيرية، والسلافية، واليونانية، والأدب العربي، والصيني، والياباني، والهندي، والأفريقي، وغيرها. وفي تنوع رقعة جغرافيا الآداب المستهدفة واتساعها بالمقارنة مع الأدب الفرنسي في البرنامج دلالة –غير مباشرة– على عدم الالتزام بالمعيار التاريخي في المفهوم الفرنسي التقليدي للأدب المقارن الذي يشترط وجود دليل تاريخي يثبت حدوث التواصل التاريخي؛ فيتعذر رصد دلائل تاريخية لإثبات التواصل بين هذه الآداب العالمية لشعوب متباعدة في الشرق والغرب.

وتختلف تطبيقات مقررات البرنامج للمقارنة الأدبية مع الرؤية الفرنسية التاريخية التي تركز على الماضي أكثر من تركيزها على الحاضر والمستقبل. لكن مفهوم الأدب المقارن في البرنامج يتسع ليشمل المقارنة بين الأجناس الأدبية والأجناس الأخرى على الرغم من استبعاد الأجناس غير الأدبية من حقل الأدب المقارن في المنهجية الفرنسية التقليدية. ويهتم البرنامج بدراسة العلاقات بين الآداب ومختلف أشكال التعبير اللغوي ومجالاته كالحركات الثقافية، والدراسات بين الثقافات، ودراسات الترجمة والتلقي، والعلاقات بين الأدب والفنون، وبين الأدب والتخصصات الأخرى. ويتبع البرنامج منهجية منفتحة على التخصصات الإنسانية والاجتماعية في رصده لوسائل نظريات الترجمة وممارساتها، والدراسات الثقافية، ونقل النماذج الأدبية بين اللغات والثقافات.

[4] Université Sorbonne Nouvelle - Paris 3. Master Littérature Générale et Comparée, Parcours "Littératures comparées européennes et extra-européennes". Retrieved May 25, 2023, from http://www.univ-paris3.fr/master-br-litterature-generale-et-comparee-parcours-litteratures-comparees-europeennes-et-extra-europeennes--19068.kjsp

ويشترط البرنامج في المتقدمين أن يكونوا ملمين بمبادئ اللغة الفرنسية ومتخصصين في الآداب واللغات أو –على الأقل– دراسين لها، مع إعطاء الأولوية للمتخصصين في الأدب؛ كي يستطيعوا مقارنة الأدب الفرنسي بالآداب الأخرى، ويحققوا هدف القسم المشرف على البرنامج والمتمثل في ربط دراسة الآداب الوطنية الفرنسية بمعرفة الآداب الأجنبية وخاصة الآداب غير الأوروبية، ومقاربة الأسئلة الأدبية من زاوية نظرية. ويُستخلص من شروط الالتحاق بالبرنامج أن يستهدف إعداد وسطاء بين الأدب الفرنسي والآداب الأخرى الأوروبية وغير الأوروبية.

ويعد الطلاب الدوليون من أهم دعائم تحقيق أهداف البرنامج، حيث يهيئون سبل التبادل الثقافي والأدبي بين الأدب والثقافة الفرنسية والآداب غير الأوروبية. وفي المقابل، يتيح البرنامج للطلبة الدوليين تعلم الأدب الفرنسي، وتطوير مهاراتهم اللغوية والتحليلية بإشراف مباشر من أساتذة البرنامج، كما يتيح لهم الاستفادة من فرص التبادل الدولي التي توفرها جامعة السوربون الجديدة بالتنسيق مع الجهات المعنية في الاتحاد الأوروبي.

وعلى الرغم من تنوع مقررات البرنامج وأهدافها إلا أنها تتشابه في عدم التزامها بالمفهوم الفرنسي للأدب المقارن، وفي اعتمادها على المؤتلف بين الآداب، وفي تركيزها على الأبعاد الإنسانية للأدب. ويبدأ البرنامج بمقرر عام في الأدب والفنون والعلوم الإنسانية والفلسفة باسم "فكرة العالم ونطاق العالم: ما هي التحديات؟"، ويتضح من اسم المقرر نزعته العالمية التي تمتد لتشمل العلوم الإنسانية والفلسفية والأدبية. وتتناول مقررات البرامج الأجناس الفنية والأدبية على طريقة المنهجية الأمريكية في الأدب المقارن، حيث يركز أحد المقررات على الروائي والفيلسوف الروسي "دوستويفسكي والسينما"، ويتناول مقرر "مؤلف في فابولا: سخرية وحزن الحداثة في الرواية المعاصرة" طريقة تقديم الخيال على أنه حقيقية في الروايات العالمية المعاصرة. وتمتد مقررات البرنامج لتشمل الجوانب النفسية المتعلقة بالمرأة كمقرر "النساء المحاربات بالكلمات والصور"، والمتعلقة بالهوية كمقرر "الأدب والفنون والنفسية: مساحات حضرية وممتلكات هوية".

وتعتمد عدد من مقررات البرنامج على دراسة العلاقات بين الغرب والشرق في أبعادها المتنوعة. فعلى سبيل المثال، يتناول مقرر "الجغرافيا والخيال السياسي" العلاقة الجغرافية بين الشرق والغرب، بينما يركز مقرر "حدث ما بعد الاستعمار" على العلاقات الأدبية بعد فترة الاستعمار الأوروبي. ويدرس مقرر

"حكايات الرحالة في بلاد فارس وآسيا" تجارب الرحالة في مناطق وسط آسيا. وفيما يتعلق بالبعد الأيديولوجي، يعالج مقرر "الشرق/الغرب: الكتاب المقدس والقرآن في الأدب" المقارنة بين الآداب التي تأثرت بالكتابين المقدسين. أما مقرر "لغات الأدب: نظريات وممارسات آسيا وأوروبا" فيقارن بين ممارسات اللغة الأدبية في الشرق الآسيوي والغرب الأوروبي.

ويشجع البرنامج طلبته على تقديم مشروع تدريبي تحت إشراف مباشر من أحد المتخصصين، وبمعايير محددة تسهم في استفادة الطالب من الإقامة في باريس بما يسهم في فهمه للثقافة الفرنسية. وفي السياق ذاته، ابتكرت إدارة القسم في عام 2019 مشروعًا تدريبيًا بالشراكة مع جامعة باريس سيتي يستهدف الطلاب الفرنسيين والدوليين المهتمين بدراسة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية من منظور مقارن يهدف لمقارنة الموضوعات الأدبية والفنية التي تنتمي إلى ثقافات ولغات في مناطق متنوعة حول العالم.[5]

3-2 رؤية برنامج الأدب المقارن في جامعة كندية:[6]

أطلقت جامعة شيربروك الفرانكوفونية الواقعة بولاية كيبيك الكندية في مطلع ستينيات القرن العشرين برنامج ماجستير في (الأدب الكندي المقارن) ليكون أول برنامج للخريجين ثنائي اللغة من نوعه في الجامعات الكندية (De Gasperi, 2018, p. 15)، وقد صمم البرنامج لغير الكنديين من الطلاب الدوليين وطلبة برامج التبادل الدولي، وأسند التدريس فيه لأساتذة يتحدثون لغتين أو أكثر. وليحقق البرنامج هدفه في استقبال الطلاب الدوليين لم يقصر تخصصات المتقدمين على اللغة الإنجليزية والدراسات الفرنسية، بل أتاحها للدارسين للأدب المقارن أو ما يعادله من التخصصات الأدبية، مع ضرورة أن يستطيع المتقدم قراءة الأعمال الأدبية باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

---

[5] Université Sorbonne Nouvelle - Paris 3. (2023). Master Littérature Générale et Comparée, Parcours "Littératures comparées européennes et extra-européennes". Retrieved May 25, 2023, from http://www.univ-paris3.fr/master-br-litterature-generale-et-comparee-parcours-litteratures-comparees-europeennes-et-extra-europeennes--19068.kjsp
Université de Montréal. (2023). Maîtrise en littérature comparée: Admission et règlements. Retrieved May 25, 2023, from https://admission.umontreal.ca/programmes/maitrise-en-litterature-comparee/admission-et-reglements/

[6] Université de Sherbrooke. (2023). Maîtrise en littérature canadienne comparée. Retrieved April 25, 2023, from https://www.usherbrooke.ca/admission/programme/626/maitrise-en-litterature-canadienne-comparee#admission/

ويهدف البرنامج لتعميق معرفة طلبته بآداب كندا، وولاية كيبيك، ومقارنته بالآداب الوطنية الأخرى. ويقدم البرنامج في مساره الخاص بـ(الدراسات الأدبية والثقافية المقارنة) مقررات تهدف لإقامة مقارنات أدبية وثقافية بين الممارسات الثقافية في كندا عامة وولاية كيبيك خاصة، بما يشمل الممارسات الثقافية والأدبية باللغتين الفرنسية والإنجليزية عند الشعوب الكندية الأصلية أو المجموعات البشرية الكندية المهاجرة، أو بين آداب هذه الشعوب الكندية وآداب الشعوب الأخرى، أو بين الآداب والثقافات الوطنية الأخرى. كما يساعد البرنامج طلبته الدوليين على اكتساب مهارات ترجمة الأدب الكندي وكيبيك، بما يسهم في نشر هذا الأدب الكندي وأدب كيبيك عالميًا.

ويضاف إلى ذلك أن هذا البرنامج يعرف الملتحقين به بالأدب الكندي ويكسبهم مهارة تحليله ومقارنته بالآداب الأخرى؛ من مثل: مقرر "النقد الكندي المقارن" الذي يهدف لدراسة المناهج النقدية الكندية ومقارنة النقد الأدبي الإنجليزي الكندي وكيبيك، ومقرر "الأدب الأنجلو كيبيك والأدب الفرنسي الكندي" الذي يدرس فيه الطلاب ثنائيو اللغة طريقة تمثيل الأقليات الناطقة بالإنجليزية في كيبيك، والأقليات الفرنكوفونية في كندا الإنجليزية، ويحللون القضايا المرتبطة بالأقليات، والهوية الثقافية، والقوميات، والذاكرة الجماعية، والتعددية الثقافية، ويعتمد الدارسون في التحليل على نماذج أدبية مختلفة نشرت منذ عام 1920م. ومن المقررات العامة في البرنامج مقرر "موضوعات في الأدب الكندي المقارن" الذي يتناول قضية محددة من بين قضايا متنوعة تشمل آداب أمريكا الشمالية، والدراسات الثقافية في الأدب المقارن، ونموذج لآداب المجموعات العرقية، وما بعد الحداثة، ونظرية ما بعد الاستعمار، والعلاقات بين الأدب ووسائل الإعلام الأخرى، والعلاقات بين الخطاب الأدبي والخطاب الآخر. ويتناول مقرر "تاريخ الترجمة الأدبية في كندا" الدور السياسي والاجتماعي للمترجم الأدبي في نشر الثقافة في كندا، والبعد الرمزي للترجمة الأدبية. وتشتمل خطة البرنامج على مقررات أخرى تركز مفرداتها على مقارنة الأدب الكندي بغيره من الآداب الوطنية.

ويمتد اهتمام البرنامج ليشمل الأجناس الأدبية الكندية حيث يقدم مقررًا عن "الشعر الكندي المقارن" يقارن فيه الطلاب بين النماذج الأدبية الإنجليزية والفرنسية في الشعر الإنجليزي الكندي وشعر كيبيك منذ بدايات الأدبين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، كما يقارنون فيه بين عمل شعري لمؤلف إنجليزي كندي وعمل آخر لمؤلف فرنسي كندي. ويركز مقرر "الرواية الكندية المقارنة" على تساؤلات

أدبية تتعلق بطبيعة الأدب الكندي الإنجليزي والأدب الكندي الفرنسي مع مقارنة بين نماذج من الأدبين كُتبت في الفترة بين مطلع العصر الحديث وعام 1960. ويقارن الطلاب في مقرر "الدراما الكندية المقارنة" بين المعالجة الدرامية للموضوعات في مجموعة من ست مسرحيات إنجليزية–كندية وست مسرحيات فرنسية–كندية.

4– عولمة الأدب العربي وفق رؤية دامروش:

تحسب المبادرة في الاهتمام بالدراسات الأدبية المقارنة في الجامعات العربية للجامعات المصرية، حيث بدأ الاهتمام بالأدب المقارن في ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته، وتوّج ذلك الاهتمام عام 1945م بإدخال مادة (الأدب المقارن) في مقرر قسم الأدب المقارن والنقد والبلاغة بكليّة دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة، ثم أدرجت مادة (الأدب المقارن) في مقررات قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة (المناصرة، 1996، ص170). ثم أنشئت "الجمعية المصرية للأدب المقارن" كما أنشأت الجامعة الأمريكية بالقاهرة قسمًا خاصًا بالأدب المقارن. وتلتها الجامعات المغاربية وبخاصة جامعة محمد الخامس أكدال وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط حيث أنشئ "مختبر الدراسات المقارنة" و "ماستر الأدب العام والمقارن"، وأنشئت "الجمعية العربية للأدب المقارن" في جامعة عنابة الجزائرية. ونشطت في العقد الأخير حركة دراسات الأدب المقارن في عدد من الجامعات الخليجية كجامعة الملك سعود التي تقدم برنامج ماجستير متخصص في الأدب المقارن كما تضم الجمعية السعودية للأدب المقارن. ورغم اهتمام عدد من الجامعات العربية بمجال الدراسات الأدبية المقارنة، إلا أن تلك الجهود غالبًا لم تُوجِه بشكل يخدم الأدب العربي ويعزز نشره عالميًا بنفس القدر الذي تم توجيهه لصالح دور النقاد العرب في استكشاف الأدب الأجنبي.

تعد رؤية دامروش لطريقة تحول الأدب الوطني من الساحة المحلية إلى الساحة الدولية قديمًا، عند الحضارات المختلفة مثل السومريين والأزتيك، والحركات الأدبية مثل التصوف في العصور الوسطى، أو حديثًا في نماذج متعددة من آداب المستعمرات، رؤية مناسبة للبرامج التي تهدف لعولمة الأدب العربي ونشره عالميًا. فالأدب العالمي –في رؤية دامروش– لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه قائمة محددة من الأعمال، بل هو عملية ديناميكية تسير في اتجاهين: نشر النص الأدبي وأسلوب تفسيره. ويصنع هذا التفاعل مساحة جديدة مشتركة تتأثر بكل من الثقافتين الأصلية (العربية) والهدف (الثقافة التي ينتمي

إليها النص الآخر). ولا يقف هذا التفاعل بين الثقافات عند الثقافات المعاصرة؛ بل تتفاعل فيه النصوص العريقة والاكتشافات الحديثة.

عملية عولمة الأدب العربي هي عملية متعددة الأوجه تتجاوز الحدود اللغوية والثقافية العربية، حيث تسعى إلى وضع الآداب العربية، سواء كانت قديمة أم حديثة، على المسرح العالمي. وتنسجم رؤية دامروش مع هذه الهدف؛ لأن منهجه لا يركز على تداول الأعمال خارج نطاق أصولها الثقافية فحسب، بل يركز أيضًا على كيفية قراءة هذه الأعمال وتفسيرها ضمن سياقات جديدة تدفع الآخر لرؤية الثقافة العربية بطريقة غير نمطية. ومن أهم الوسائل لتحقيق ذلك البرامج الأكاديمية المقارنة، وبخاصة برامج الأدب المقارن التي تستهدف الطلاب غير العرب.

تتطلب عولمة الأدب العربي، وفق رؤية دامروش، من البرامج الأكاديمية المتخصصة في الأدب المقارن الاعتماد في تدريس الأدب العربي على أساس متعدد التخصصات يزود الطلاب بالأطر النظرية اللازمة لتحليل الأدب في سياق عالمي. ويجب أن تدمج المقررات الأساسية نظريات الأدب العالمي، وخاصة تلك التي تبناها دامروش، والتي تبرز تداول الأدب وترجمته واستقباله عبر الثقافات. وبواسطة هذه الممارسة يستكشف الطلاب كيفية تفاعل الأدب العربي داخل الفضاء الأدبي العالمي، وطبيعة العمليات التي تسهل أو تعيق عالمية الأدب العربي.

تندرج العلاقة بين الأدب واللغة في مجال عالمية الأدب ضمن إطار العلاقات الطردية؛ فكلما انتشرت اللغة وتوسعت عالميًا كلما انتشر أدبها واطلع عليه الأدباء حول العالم. كما تعد الترجمة إلى اللغات المختلفة من أهم وسائل نشر الأدب الوطني. من هنا، تعد المقررات الهادفة إلى تحسين الكفاءة في اللغة العربية اللبنة الأساسية في برامج الأدب المقارن التي تسعى لعولمة الأدب القومي، بالإضافة إلى الكفاءة في الترجمة العملية. ويؤكد هذا التركيز المزدوج على إتقان اللغة وممارسة الترجمة على الدور الحاسم لإعادة النظر في أسلوب تدريس الترجمة. فعلى الرغم من نشاط حركة ترجمة الأدب العربي إلى اللغات الأخرى في العقود الأخيرة، إلا أن تركيزها كان مقصورًا على أعمال أدبية معينة تحقق درجة عالية من الجودة الأدبية، لذا حرصت على نوعية الترجمة أكثر من حرصها على كميتها. وعلى الرغم من أهمية جودة العمل الأدبي المترجم من العربية إلى اللغات الأخرى إلا أن عولمة هذا الأدب –وفق رؤية دامروش–

تتطلب الاهتمام بكمية المنجز الأدبي المترجم دون إغفال لعنصر الجودة؛ كي يتاح أكبر عدد من النصوص العربية الكلاسيكية والمعاصرة لغير الناطقين باللغة العربية.

ويشير دامروش إلى دور "حراس البوابة" من أساتذة الترجمة والمترجمين والناشرين والنقاد والمعلمين الذين يختارون الآداب الأجنبية ويقدمونها إلى جماهير جديدة (Damrosch, 2003 & 2011). ولكي يزدهر الأدب العربي عالميًا، يجب أن يكون هؤلاء الحراس متناغمين مع جودة وكمية الأعمال العربية وأهميتها ومع الطبيعة المتنوعة والديناميكية للمشهد الأدبي العربي. ويجب عليهم أن يسعوا جاهدين لتقديم توازن بين الأنواع والموضوعات التي تمثل بدقة العمق التاريخي والواقع المعاصر للكتابة الأدبية العربية بأنواعها وأساليبها وتقاليدها منذ عصر ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث.

إن تدريس الأدب العربي وفق المنهجية المقارنة يختلف عن تدريسه مستقلًا عن الآداب الأخرى. فزاوية الرؤية عند دراسته مستقلًا عن الآداب الأخرى ستكون –في الغالب– زاوية عامودية تنطلق من أصالة موضوعات الأدب العربي وتطورها التاريخي عبر العصور بدءًا من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث. وفي المقابل، فإن زاوية الرؤية عند دراسة الأدب العربي وفق المنهجية المقارنة ستكون –في الغالب– زاوية أفقية تنطلق من نقاط التشابه والاختلاف بين الأدب العربي والآداب الأخرى. وإذا كان دراس النص الأدبي العربي وفق المنهجية الأولى سينظر إلى النص في إطار انتمائه للأدب العربي، فإن دراسة النص ذاته وفق المنهجية المقارنة ستدفع الدارس إلى فضاءات ثقافية جديدة في قراءته للنص، ومن المحتمل أن يكتشف معاني جديدة ويقدّر جوانب مختلفة في النص. وتنسجم التفسيرات الجديدة للنصوص الأدبية العربية مع عملية إثراء التبادل الثقافي وإعادة التفسير التي ينظر إليها دامروش على أنها جوهر الأدب العالمي. فعندما انتقل نص ألف ليلة وليلة –على سبيل المثال– من الأدب العربي إلى الآداب الأوروبية اكتشف فيه القراء الأوروبيون أبعادًا لم يتنبه لها القراء والنقاد العرب.

كما يمكن أن يؤدي استقبال الطلاب غير العرب للعمل الأدبي العربي إلى تغيير أهميته، ويكون للمعلمين والنقاد دور في تأطير هذه الأعمال ضمن سياقاتها الثقافية الجديدة، وتوجيه القراء نحو مشاركة أكثر عمقًا مع الأدب. وتتجلى جاذبية الأدب العربي العالمية غالبًا في تفاعله مع الموضوعات الإنسانية العامة المرتبطة بالحب والهوية وغيرها من القضايا المشتركة مع الثقافات الأخرى، وذلك على الرغم من أهمية العناصر الثقافية الفريدة التي يتمتع بها. فقد شهد حقل دراسات الادب الصوفي –على سبيل

المثال- نهضة على يد النقاد الغربيين الذي وجدوا فيه موضوعًا إنسانيًا عامًا (Raudvere, & Stenberg, 2008). ومن خلال تسليط الضوء على هذه المواضيع العالمية، يمكن للأدب العربي أن ينشئ أرضية مشتركة مع القراء في جميع أنحاء العالم.

وتمتد عولمة الأدب العربي من خلال مقارنته بالآداب الأخرى إلى أبعد من مجرد القراءة، فهي أداة تعليمية تعزز المعرفة الثقافية. فعندما يتفاعل الطلاب غير العرب مع موضوعات وسياقات الأعمال العربية، يكتسبون رؤى ثاقبة حول تاريخ العالم العربي وسياساته وديناميكياته الاجتماعية. وتتحدى هذه الرؤى الصور النمطية القائمة حول العرب، وتساهم في تعزيز فهم الثقافة العربية بشكل أكبر. وقد يبدأ المؤلفون من العالم العربي في التعامل مع الموضوعات العالمية والتأثيرات الأسلوبية عندما تصل أعمالهم إلى الجماهير العالمية. وسيؤدي ذلك -وفق رؤية دامروش- إلى اندماج ديناميكي للروايات العربية والعالمية، مما يؤدي إلى خلق أدب متجذر في الثقافة العربية ويتردد صداه لدى القراء العالميين.

النتائج والتوصيات:

يستنتج من محاور الدراسة ومناقشتها للدور الذي تقدمه برامج الأدب المقارن في نشر الأدب الوطني عالميًا ما يلي:

1- أن برامج الأدب المقارن الأكاديمية تسهم بفعالية في نشر الأدب الوطني والقومي من خلال مقارنته بالآداب القومية الأخرى، بواسطة دارسين متقنين للغات مختلفة ومتخصصين في المقارنة الأدبية.

2- أن تدريس الأدب الوطني في برامج الأدب المقارن ومقارنته بالآداب الأخرى من أساليب عولمة الأدب الوطني ليصبح جزءًا من الأدب العالمي الذي يبحث في ما وراء أدب الأمة، بما يسهم في تعزيز الحضور الثقافي والفكري والتربوي للأدب الوطني عالميًا.

3- أن برامج الأدب المقارن تؤدي وظيفة تطويرية تقوم على إخراج الآداب الوطنية من عزلتها لتتأثر بالآداب الأخرى وتؤثر فيها كما لوحظ في برنامج ماجستير في (الأدب الكندي المقارن) الذي تقدمه جامعة شيربروك الفرانكوفونية الواقعة بولاية كيبيك الكندية.

4- أن التحديات التي تواجه انتشار الآداب الوطنية تحتّم على المتعصبين لآدابهم القومية النظر في أساليب للانفتاح المنهجي على الآداب الأخرى، وفي مقدمتها إنشاء برامج أكاديمية تعنى بمقارنة الأدب الوطني بالآداب الأخرى؛ لأن وسائل التواصل الرقمية والثورة المعلوماتية جعلت ذلك الانفتاح حتميًا، لا خيارًا كما كان في القرون السابقة.

5- أن عددًا من برامج الدراسات العليا المعاصرة في الأدب المقارن في الجامعات الفرنكوفونية قد تأثرت بالرؤية الأمريكية للأدب المقارن؛ لمرونتها وانفتاحها على مقارنة آداب الأمم المتباعدة جغرافيًا التي لم يثبت حدوث التواصل التاريخي بينها.

6- أن الرؤية الأمريكية للمقارنة الأدبية أكثر فعالية في تحقيق الأهداف العلمية والفكرية والثقافية للدراسات المقارنة بين الآداب الوطنية المختلفة؛ لأنها لا تعتمد على إثبات الصلة التاريخية بين النصوص الأدبية موضوع المقارنة، ولا تلتزم بأجناس أدبية محددة عند المقارنة بين الآداب.

7- أن عولمة الأدب العربي ليست مجرد مسعى أدبي؛ بل جسر يربط الثقافة العربية بالثقافات الأخرى. وتعدُّ رؤى دامروش في الأدب العالمي بمثابة دليل للتعمق في كيفية دمج الأدب العربي في الأدب العالمي، ولاستكشاف الآليات التي تقوم عليها حركة عولمة الأدب العربي ليتجاوز الحدود المحلية والإقليمية، مما يجعل الأدب العربي جزءًا حيويًا من التفاعل الثقافي العالمي.

ولتفعيل برامج دراسات الأدب المقارن في عولمة الأدب العربي، توصي الدراسة بالآتي:

1- تعزيز ودعم البرامج الأكاديمية في الأدب المقارن في المؤسسات التعليمية العربية. ويمكن لهذه البرامج أن توفر منصة لتحليل وفهم الترابط والتفاعلات بين الآداب العربية والآداب الأخرى.

2- الدعوة إلى تكامل المناهج المقارنة في دراسة الأدب الوطني من خلال استكشاف أوجه التشابه والاختلاف والعلاقات النصية بين التقاليد الأدبية العربية ونظيراتها الأجنبية، بما يمكّن الطلاب من اكتساب فهم أعمق للأبعاد العالمية للأدب.

3- التركيز في مقررات برامج الأدب المقارن العربية على مقارنة الأدب القومي مع الآداب الأخرى البعيدة والقريبة تاريخيًا وجغرافيًا بما يسهم في تطور الأدب القومي العربي وازدهاره.

4- التركيز في مناهج الأدب المقارن ومؤلفاته على الممارسة والتطبيق أكثر من التركيز على جدليات مفهوم وتاريخ الأدب المقارن، وهو ما سيتيح للأدب العربي مجالات واسعة للتطوير في شكله، ومضمونه، وأجناسه الأدبية، وموضوعاته.

5- الاعتماد في دراسة وتدريس الأدب المقارن في برامج الجامعات العربية على رؤية تفيد الأدب العربي، وعلى مفهوم مرن للأدب المقارن يختلف عن المفهوم الفرنسي الصلب الذي لم تلتزم به كثير من برامج الأدب المقارن في الجامعات الفرنكوفونية العالمية.

6- تحقيق التوازن المناسب بين الأدب العربي والأدب العالمي في برامج الأدب المقارن في الجامعات العربية من خلال تحقيق التوازن بين فهم وتقدير التراث الأدبي العربي واستكشاف مواطن تأثره بالآداب الأجنبية عبر العصور.

7- تشجيع البحث والنشر في مجال الأدب المقارن، مع التركيز بشكل خاص على عولمة الأدب الوطني، وتسليط الضوء على الحاجة إلى مقارنة الأدب العربي بالآداب الأخرى بما يسهم في توسيع قاعدة المعرفة الأدبية.

8- استخدام المنصات الرقمية لتسهيل التعاون والمشاركة بين الطلاب والباحثين في مجال الأدب المقارن في الجامعات العربية. كما يمكن استخدام المنصات الرقمية لإنشاء منتديات مناقشة، ومشاركة الموارد والمقالات الأكاديمية، وتعزيز التفاعل والتعاون العابر للحدود.

9- تشجيع التعاون بين الباحثين في الجامعات العربية والجامعات العالمية بما يعزّز فرص التبادل والحوار، مما يسمح باستكشاف أعمق للتقاليد ووجهات النظر الأدبية المتنوعة.

10- التأكيد على أهمية الحفاظ على الحساسية الثقافية عند التعامل مع التقاليد الأدبية المتنوعة. وتشجيع الباحثين والطلاب على التعامل مع دراسة الأدب الوطني بعقل متفتح، مع الاعتراف بالتعقيدات والفروق الدقيقة في السياقات الثقافية المختلفة.

11- الدعوة إلى الدعم المؤسسي بالموارد اللازمة لتطوير واستدامة برامج الأدب المقارن في الجامعات العربية. ويشمل ذلك تأمين التمويل، وإنشاء مراكز أو أقسام بحثية، وتعزيز التعاون مع المؤسسات الأكاديمية الأخرى.

المراجع

المراجع العربية:

البارز، حازم فاضل. (2021). الأدب المقارن: مقاربة وإجراء، عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.

اصطيف، عبد النبي. (2019). "من الأدب المقارن إلى الأدب العالمي"، مجلة الآداب العالمية، 180، دمشق، خريف، (ص-ص 21-24).

بكار، يوسف. (2018). في الأدب المقارن: مفاهيم وعلاقات وتطبيقات، عمان: الآن ناشرون وموزعون.

خضير، ضياء. (2004). ثنائيات مقارنة: أبحاث ودراسات في الأدب المقارن، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الخطيب، حسام. (1999). آفاق الأدب المقارن عربيًا وعالميًا، بيروت: دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع.

عابدين، فاطمة. (2001). بين ابن المقفع ولافونتين: مدخل إلى دراسة مقارنة، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية.

عباس، عباس عبد الحليم. (2016). خطاب المثاقفة وحوار الحضارات، عمان: دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.

ابن عبيد، ياسين. (2020). الأدب المقارن: الأصول-الخطابات-الآليات، عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.

ابن المقفع، عبد الله. (2018). الآثار الكاملة: لابن المقفع، تحقيق: عمر فاروق الطباع، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.

المناصرة، عز الدين. (1996). المثاقفة والنقد المقارن، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع.

هلال، محمد غنيمي. (1998). الأدب المقارن، القاهرة، دار نهضة مصر.

المراجع الأجنبية:

Damrosch, D. (2011). How to read world literature. John Wiley & Sons.

Damrosch, D. (2003). What is world literature? Princeton University Press.

De Gasperi, G. (2018). Comparative literature for the new century. McGill-Queen's University Press.

De Zepetnek, S. T. (2003). Comparative literature and comparative cultural studies. Purdue University Press.

Dorsey, J. T. (1989). National and comparative literature in Japan. In C. Moore & R. A. Moody (Eds.), Comparative literature East and West: Traditions and trends (pp. 184-189). University of Hawaii Press.

Gupta, S. (2009). Globalization and literature. Polity Press.

Huggan, G. (2011). The trouble with world literature. In D. Thomas & A. Behdad (Eds.), A companion to comparative literature (pp. 49-61). John Wiley & Sons.

Kamboureli, S. (2012). Introduction. Shifting the ground of a discipline: Emergence and Canadian literary studies in English. In S. Kamboureli & R. Zacharias (Eds.), Shifting the ground of Canadian literary studies (pp. 1-36). Wilfrid Laurier University Press.

Lednicki, W. (2023). Mickiewicz's stay in Russia and his friendship with Pushkin. In Adam Mickiewicz in world literature (pp. 13-104). University of California Press.

Marx, K., & Engels, F. (2022). Manifesto of the Communist Party. In C. Calhoun, J. Gerteis, J. Moody, S. Pfaff, & I. Virk (Eds.), Classical sociological theory (pp. 168-183). John Wiley & Sons.

Raudvere, C., & Stenberg, L. (Eds.). (2008). Sufism Today: Heritage and Tradition in the Global Community. I.B. Tauris.

Ridley, H. (2007). Relations stop nowhere: The common literary foundations of German and American literature 1830-1917. Rodopi.

Roberts, D. (2020). History of the Present: The Contemporary and Its Culture. United Kingdom: Taylor & Francis.

Ryan, J. (1991). Skinside Inside: The National Literature Major versus Comparative Literature. Profession, Modern Language Association, 49–52.

Schmitz-Emans, M. (2012). Richard Meyer's concept of world literature. In T. D'haen, D. Damrosch, & D. Kadir (Eds.), The Routledge companion to world literature (pp. 49-61). Routledge.

Steiner, A. (2011). World literature and the book market. In T. D'haen, D. Damrosch, & D. Kadir (Eds.), The Routledge companion to world literature (pp. 316-325). Routledge.

Steiner, G. (2010). No passion spent. Faber & Faber.

Vadi, V. (2016). Analogies in international investment law and arbitration. Cambridge University Press.